حضور النساء في المساجد من منظور القرآن الكريم دراسة تحليلية

Syed Mahmudul Hasan
قسم دارسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا
syedhasan89iium@gmail.com

ملخص البحث

يركّز هذا البحث على بيان موقف القرآن الكريم من تثبيت أنشطة النساء حول المساجد، كالمشاركة في صلاة الجماعة واستماع الخطبة والمساهمة في الأعمال الخيريّة والإصلاحية. لأن النساء في القارّة الهندية خاصّةً تمنع من المساجد استدلالاً من بعض الأحاديث فقط، والقرآن أحق في بيان الأصول لهذه القضية. استخدم الباحث المنهج الاستقرائي، وتم ذلك عن طريق جمع الآيات القرآنية التي تتحدّث عن حضور النساء في المساجد، والمنهج التحليلي تم عن طريق تحليل الآيات المتعلقة بالموضوع. وتوصل البحث إلى نتائج، ومن أهمّها: خروج النساء إلى المساجد وعقد الأنشطة حولها أمر ثابت بالقرآن الكريم. فمن يشتبه في مثل هذا الحكم الثابت فلا بدّ له من الرجوع إلى المصادر الأصليّة للإسلام: القرآن الكريم ثم الأحاديث النبوية. فقضية حضور النساء في المساجد جائز لما دلّ عليه القرآن الكريم والأحاديث النبوية تُبين كيفيّتها وضوابطها، كما تُبين الموانع منها.

الكلمات المفتحية: النساء، المسجد، الأدلة القرآنية، العلماء

Abstract

This study evaluates the participation of Women in Muslim Prayer Hall from the Qur'anic perspective. By this participation, they can perform their five times Congregational Prayer, listen Friday Sermon and improve their understanding of Islam, and finally can contribute to the betterment of Society. It also criticizes the views of some scholars who overlook the interpretation of Qur'an concerning women's activity in the Mosque. This research adopts an inductive method to survey the Qur'anic verses that talk about the presence of women in Mosque, and analytical method to analyze Qur'anic verses related to this issue. The research found that women have a great contribution to develop the glorious history of Muslim Prayer Hall. The story of Hajera, Prophet Ibrahim's wife, and Maryam, Prophet I'sa's mother, is a great example of establishing this issue. Scholars, who disallow women in the Mosque referred to some prophetic traditions, should rely on the Qur'anic verses first as the primary source in order to reach a proper solution.

Keywords: Women, Mosque, Qur'anic Interpretation, Scholars

المقدمة

إنّ القرآن الكريم أنزل لهداية البشرية إلى صراطٍ المستقيم. فيشمل كلّ الاتّجاهات التي يواجه الإنسان في مدار حياته. أما أساليب البيان فيه مختلفة تتميز بالإبانة والاختصار. يأتي الأمور ببيانٍ لا يحتاج أحد إلى شرح معانيه، كما جاء الأمور باختصار بيانه يوضّحه النبي الأعظم بكلامه المستقيم[1] . النوع الثاني ولو يحدث بكثيرٍ أن الإسلام تُحدّث عن جميع المجالات يعيش الانسان حولها. إنّ قضية حضور النساء في المساجد أصبحت عنوان المناظرة بين العلماء في بعض البدان. في القارة الهندية خاصةً لا يُسمح النساء دخول المساجد تأثيرًا من إفتاء بعض علماءهم، باستدلالٍ أن غشيان النساء إلى المساجد لا أصالة له في القرآن ولا في السنة النبوية. أما مشروعيتها قد ذكرت في عدة الآيات القرآنية إما بإشارة أو وضاحة [2]. كلّما نتكلم عن هذه القضية لا نهتم الاستدلال بالآيات القرآنية بناءً على التفكير أن القرآن سكت عنها. بل الحقيقة ما يخالفه. أن القرآن يوضح موقفه عن جميع المشاكل لا بدّ من التّفكّر والاستنباط منها. عندما ذكر القرآن عن تعمير المساجد والعبادات فيها اختار الألفاظ العامة تشمل الجميع. والقاعدة فيه اذا اجتمع كثير من الآيات القرآنية تعم عن شيء ولا يُوجد دليل ولو واحد ما ينكره فتغير الحكم من العام إلى أمر خاص[3] . إضافةً إلى ذلك، كانت مريم عليها السلام أسوةً لتعبّد النّساء وصلاتهنّ في داخل المساجد[4] . هناك بعض القطع القرآنية يطلب الانتباه فيها.

منهجية البحث

والمنهج التحليلي تم عن طريق تحليل الآيات المتعلقة بالموضوع. وتوصل البحث إلى نتائج، ومن أهمّها: خروج النساء إلى المساجد وعقد الأنشطة حولها أمر ثابت بالقرآن الكريم. فمن يشتبه في مثل هذا الحكم الثابت فلا بدّ له من الرجوع إلى المصادر الأصليّة للإسلام: القرآن الكريم ثم الأحاديث النبوية. فقضية حضور

[1] الدكتور صلاح عبد الفتّاح الخالدي، تعريف الدّارسين بمناهج المفسّرين، (دمشق: دارالقلم، ط5، 1433هـ_2012م)، ص147_172.

[2] Jasser Auda, Reclaiming The Mosque, (London: Claritas Books, June 2017). Page: 6-7

[3] أنظر: الدكتور صلاح عبد الفتّاح الخالدي، تعريف الدّارسين بمناهج المفسّرين، (دمشق: دارالقلم، ط5، 1433هـ_2012م)، ص153_157.

[4] Nevin Reda. *Women in the Mosque: Historical Perspective on Segregatio* Page: 83_84.) American Journal of Islamic Social Sciences 21:2.

النساء في المساجد جائز لما دلّ عليه القرآن الكريم والأحاديث النبوية تُبين كيفيّتها وضوابطها، كما تُبين الموانع منها.

بيان القرآن على إعمار النساء للمساجد

إن العلماء الذين يستشهدون في تحبيس النساء من المساجد يسكتون في الشواهد القرآنية الدّالة على المساواة الجنسية في عمارة المسجد. أما التأمل والملاحظة في الآيات القرآنية تجلب النتيجة بأن المساجد لله سبحانه وتعالى، ويرفع فيه ذكره العبد والأمة لله على حد السواء[5] . في آية تعمير المساجد [6]، اشترط فيه المواصفات الخمسة للمستحقّين، ثم ذكر المانع الوحيد فيه هو الكفر. والجنسية لا يليق بها أن تكون مانعاً في عمارة المسجد. فالمرأة كما تستحق في تعمير المسجد تستحق في تعمير المجتمع. وفي آيةٍ ذكر الله سبحانه وتعالى الذكر والأنثى جنباً بجنبٍ في بيان مساواة الخطاب في جميع العبادات [7]، يُشير إلى أن الشريعة الإسلامية لا يختصّ للرجال فقط كما زعم بعض الناس، بل يشمل الجميع في خطابه. وفي آية الولاية بين المؤمنين والمؤمنات[8] ، ذكر الله سبحانه وتعالى أنهم يساعدون بعضهم بعضا في إصلاح المجتمع والبلاد، وفي إقامة الصلاة في كل بيوت ومساجد، وفي انتشار الخير والدعوة بين عامة الناس. وفي آية التبرّج[9] ، احترم الله سبحانه وتعالى حوائجهنّ، فأباح لهنّ الخروج مع التزام الشروط والضوابط. فإذا كان الخروج مشروعة لقضاء مصالحهنّ فحاجتهن إلى المساجد أولى لأداء الصلوات المكتوبات، كما قال الحافظ ابن كثير في تفسيره. وفي آية إسكان ابراهيم أهله[10] ، حمد الله تعالى دور أم اسماعيل لجهدها في تعمير بيت الله الحرام وجعل خطوتها متّبعة لمن يريد زيارته. وكذلك اختار الله سبحانه وتعالى مريم عليها السلام لشرفٍ عظيمٍ، من حيث أمرها القنوت

[5] قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾. [سورة الجن: 18]

[6] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[التوبة:١٨].

[7] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:35

[8] قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:71

[9] قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب:33].

[10] في التنزيل: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يشْكُرُونَ﴾[إبراهيم:3

والسجود والركوع أن يؤديها مع الراكعين[11] . قال الإمام البغوي رحمه الله: "ولم يقل مع الراكعات ليكون أعم وأشمل، تشير إلي الأمر في مشاركة الجماعة فيها الرجال والنساء"[12] . وكثير من الآيات تشير إلى مساهمة النساء مع الرجال في جميع النشاطات، وعلى رأسها تعمير المسجد وتعمير المجتمع. ولا يُوجد أيةٌ واحدةٌ تُشير إلى منع النساء من إداء الصلاة في المسجد، بل فيه أيةٌ زجر الله سبحانه وتعالى لمن يمنع المؤمنين والمؤمنات من حضور المسجد. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ البقرة:114.

في تعمير المساجد

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ التوبة:١٨ إن المساجد تُعمر بإقامة العبادات والنشاطات فيها، كما تُعمر بنظافتها وإصلاحها، وصيانتها عن كل ما لا يليق بها[13] . فالله سبحانه وتعالى وصفهم الذين يستحقون بعمارتها، هم الذين يؤمنون بالله ويؤمنون بالآخرة ويعملون الأعمال الصالحات وعلى رأسها الصلاة والزكاة ويخشون الله حق خشيته[14] . هذه المواصفات الخمسة التي اشترطها الله في تعمير المساجد تتعلق بدين التوحيد. لأنّ كفّار قريش قاموا بسقاية الحاج ورعاية الكعبة وافتخروا بها، كما ذكرت قصته في تفسير القرطبي: "إن العباس لما أسر وعير بالكفر وقطيعة الرحم قال: تذكرون مساوئنا ولا تذكرون محاسننا. فقال علي: ألكم محاسن؟ قال: نعم، إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني، فنزلت هذه الآية ردّا عليه"[15] . فالمانع الوحيد في عمارة مساجد الله هو الكفر أي الإعتقاد الباطل عن الله [16]،

---

[11] في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ. يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[آل عمران:42-43].

[12] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، (رياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417 هـ - 1997 م)، ج2، ص36.

[13] أنظر: طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، د.ت.)، ج1، ص1907.

[14] أنظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000 م)، ج1، ص331.

[15] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، (المملكة العربية السعودية، الرياض: دار عالم الكتب، د.ط.، 1423هـ_2003م)، ج8، ص90.

[16] د. إبراهيم بن صالح الخضيري، أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، (الرياض: دار الفضيلة للنشر، ط2، 1421هـ_2001م)، ج1، ص5_7.

وليس المانع فيها الجنس بأن يكون رجلاً أم امرأةً. المرأة تستحق أن تعمر المساجد كما هي تستحق في عمارة المجتمع أيضا إذا تحققت فيها الأوصاف التي عينها الله سبحانه وتعالى [17].

المساواة في العمل الصالح

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ النساء:124

إن الله سبحانه وتعالى استعمل ألفاظ التذكير في معجم الأحكام ولكن هو يشمل الرجال والنساء على حد السواء، عدا ما خصّصه الدين بأحد منهما[18] . أما في هذه الآية جاءت كلا الفريقين بالذكر. فذكر الإمام الشعراوي أسراره في كتابه: "وجاءت كلمتا "ذكر" و " أنثى" هنا حتى لا يفهم أحد أن مجيء الفعل بصيغة التذكير في قوله (يعمل) أن المرأة معفية منه؛ لأن المرأة في كثير من الأحكام نجد حكمها مطموراً في مسألة الرجل، وفي ذلك إيحاء بأن امرها مبني على الستر" [19]. وبينه الإمام الطنطاوي بعبارة أخرى: "ومنْ في قوله "مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى" للبيان. أى بيان أن الأحكام الشرعية وما يترتب عليها من ثواب يشترك فيه الرجال والنساء إلا إذا قام دليل على أن أحد الصنفين مختص بحكم معين لا يشاركه فيه الصنف الآخر.[20] "

إن النساء في عهد الجاهلية تُعامل كبضاعة تُباع وتُشترى، فالسلطة والشرف والقضاء كلها على أيدي الرجال والنساء فيه خدمتهم، ما كان أحد يتكلم عن حقوقهنّ ويذكر مكانتهنّ في المجتمع[21] . فالله سبحانه وتعالى أوحى إرشادات تكسّر عادات الجاهلية الأولى، فالمرأة تعاشر مع الرجال في جميع العبادات والنشاطات حيث يذكرهنّ بجانب الرجال كأنهنّ شقائقهم. كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النحل:97

[17] د. محمد السيد الجليند، الدور السياسي والاجتماعي للمرأة: رؤية إسلامية، (د.ب.، د.ن.، د.ط.، د.ت.)، ص7-9.

[18]: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (بيروت – لبنان: مؤسسة التاريخ العربي، ط1، 1420هـ/2000م)، ج4، ص260.

[19] الشعراوي، تفسير الشعراوي، (القاهرة: دار أخبار اليوم، د.ط.، د.ت.)، ج1، ص1837.

[20] التفسير الوسيط للطنطاوي، المصدر السابق، ج1، ص1081.

[21] أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط7، 1487هـ_1967م)، ص60. وصلاح عبد الغني محمد، موسوعة المرأة المسلمة، (القاهرة: مكتبة دار العربية للكتاب، ط1، 1418هـ_1998م)، ص50_51.

المساواة في جميع العبادات

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾الأحزاب:35

يُوجد في كتب التفاسير روايات كثيرة عن سبب نزول هذه الآية. ومنها ما أخرجه الإمام أحمد والنسائي وغيرهما، عن أم سلمة ﷺ قالت: قلت للنبي:مالنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟ قالت: فلم يرعني منه ذات يوم إلا نداؤه على المنبر، وهو يتلو هذه الآية: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ.... وأخرج الترمذي وغيره عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء، فنزلت هذه الآية[22]. وأخرجه ابن جرير عن قتادة قال: دخل نساء على أزواج النبي فقلن: قد ذكركن الله تعالى في القرآن، وما يذكرنا بشيء أما فينا ما يذكر، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

إن جميع الأحكام مشتركة فيها الرجال والنساء من حيث الخطاب، فذكرهما الله سبحانه وتعالى في هذه الآية جنباً بجنبٍ تخصيصاً في سائر أنواع الأعمال[23] . قال الإمام ابن عاشور رحمه الله: "فالمقصود من أصحاب هذه الأوصاف المذكورة النساءُ، وأما ذِكْر الرجال فللإشارة إلى أن الصنفين في هذه الشرائع سواء ليعلموا أن الشريعة لا تختص بالرجال لا كما كان معظم شريعة التوراة خاصاً بالرجال إلا الأحكام التي لا تتصور في غير النساء، فشريعة الإسلام بعكس ذلك الأصل في شرائعها أن تعم الرجال والنساء إلا ما نُصّ على تخصيصه بأحد الصنفين، ولعل بهذه الآية وأمثالها تقرر أصل التسوية فأَغنى عن التنبيه عليه في معظم أقوال القرآن والسنة، ولعل هذا هو وجه تعداد الصفات المذكورة في هذه الآية لئلا يتوهم التسوية في خصوص صفة واحدة" [24]. إن الله سبحانه وتعالى أجاب النساء كلّما طلبن عن ذكرهنّ في القرآن. فأقام مكانتهنّ في كل جوانب حياتهن وجعلهنّ شقائقاً للرجال، فإتيانهن في هذه الآية مفرقاً في كل الأوصاف تشير إلى مشاركتهنّ في كل أنواع العبادات من صلاة وصدقة وصيام، وفي كلّ نشاطات اجتماعية على ظل الضوابط المنضبطة لهنّ[25].

[22] التفسير الوسيط، المصدر السابق، ج1، ص1082

[23] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المصدر السابق، ج1، ص664

[24] ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج21، ص250.

[25] د. محمد السيد الجليند، الدور السياسي والاجتماعي للمرأة: رؤية إسلامية، المصدر السابق، ص11.

بينهم ولاية الإسلام

قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:71[

إن المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، أنهم أولياء في المحبة والموالاة والانتماء والنصرة كما قال الإمام السعدي[26] . وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله: "بينهم ولاية الإسلام، فهم فيها على السواء"[27] . وقال الإمام البغوي رحمه الله: "الولاية بينهم في الدين وإتفاق الكلمة والعون والنصرة" . وبالجملة أن الرجال والنساء يساعدون بعضهم بعضا في إصلاح المجتمع والبلاد من الأزمة والخسران. فالنساء يلعبن أدوارهن في معشر النساء حتى يجعلهنّ مستحقات في بناء أجيال إسلامية قوية، كما هنّ يقمن الصلوات في كل بيوت ومساجد حتى تقوى في نفوسهنّ مشاعر الوحدة والأخوة والمحبة. وينتشرن في ميدان الخير والدعوة بعد أن اتعظت من حلقات وخطب المساجد[28].

هذه الآية ذُكرت بعد الآية: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[التوبة: 67]. بأن أعداء الإسلام من الرجال والنساء يتناصرون في إعلاء كلمتهم، بل أدوار النساء أولى فيها كما يُرى في الوقت المعاصر تشنّ كل الهجمات ضد الإسلام. وفي مقابلة هذا يدعو القرآن نساء المسلمين لكي تقوى شملهنّ وتلعب أدوارهنّ، إما في البيوت أو في المساجد أو في المجتمع. واستخدم القرآن ألفاظ الجمع "يأمرون، ينهون، يقيمون" تفيد الجمعية والمشاركة في هذه القضية.

عدم المباشرة عند الاعتكاف

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾البقرة: 187

[26] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المصدر السابق، ج1، ص343.

[27] ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج10، ص151.

[28] البغوي، معالم التنزيل، المصدر السابق، ج4، ص71.

ذكر المفسرون في بيان سبب نزول هذه الآية بأن المسلمين كانوا عند ما فرض صيام شهر رمضان إذا أفطروا يأكلون ويشربون ويقربون النساء ما لم يناموا، فإذا ناموا حرم عليهم بعد ذلك الطعام والشراب وقربان النساء حتى يفطروا من الغد [29]. كما جاء في رواية إمام أحمد بن حنبل رحمه الله وابن جرير وابن حاتم عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال: كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد فرجع عمر بن الخطاب ﷺ من عند النبي ذات ليلة وقد سمر عنده، فأراد امرأته فقالت إني قد نمت، فقال ما نمت ثم واقعها، وصنع كعب مثل ذلك. فغدا عمر بن الخطاب إلى النبي فأخبره فنزلت [30]. فلما أباح الجماع في ليلة رمضان طُرح سؤال عن الجماع في ليلة الاعتكاف، فوضّح الله سبحانه وتعالى قائلا: ﴿وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾. إذا يُلاحَظ في سياق الآية يُفيد أن الاعتكاف يُشترط أن يكون في المساجد. وكيف المباشرة مع النساء إذا لا وجود لهنّ في داخل المساجد؟ بل المسجد هو مركز للصلاة والتلاوة والاعتكاف للرجال والنساء على حد السواء .

أما الاعتكاف للنساء مشروعة في داخل المساجد، كما جاء الحديث ما رواه البخاريُّ ومسلمٌ من طريق عُرْوَةَ عَنْ عائِشَةَ: »أنَّ النبيَّ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفّاه الله، ثم اعتكف أزواجُه من بعده«[31] . وفي رواية أخرى للبخاري: »فاسْتَأْذَنَتْهُ عائِشَةُ فَأَذِنَ لَها، وَسَأَلَتْ حَفْصَةُ عائِشَة أَنْ تَسْتَأْذِن لَها فَفَعَلَتْ[32] «

الوقار في البيت وعدم التبرّج عند الخروج

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب:33]. إن الخطاب

[29] التفسير الوسيط، المصدر السابق، ج1، ص311

[30] التفسير الوسيط، المصدر السابق، ج1، ص311

[31] محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير، ط3، ه1407 – م1987)، المصدر السابق، كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر والاعتكاف في المساجد كلها، رقم الحديث:1886، ج2، ص157. ومسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسين القشيري النيسابوري، المسند الصحيح، (بيروت: دار الأفاق الجديدة، د.ت.، د.ط.)، كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، رقم الحديث: 2006، ج6، ص91.

[32] الجامع الصحيح المختصر، المصدر السابق، كتاب الاعتكاف، باب من أراد أن يعتكف ثم بدا أن يخرج، رقم الحديث: 1904، ج7، ص192.

في هذه الأية لنساء النبي ، ولكن دخل فيه جميع النساء المسلمات بالمعنى[33] . وهدف الله سبحانه عز وجل من هذا النوع الخطاب القرآني أنه يريد أن يشرّف أمهات المؤمنين باقتداء غيرهنّ بهنّ[34].

إن النساء في الجاهلية يخرجن ويتمشين بين الرجال[35] ، كما هنّ يمشين مشية فيها تكسر، ويلقين الخمار على رأسهنّ فيواري قلائدهن وأعناقهن. هنّ يفعلن كل الأفعال متنافيا مع آداب الإسلام وتشريعاته[36] . فسماها الله تعالى "تبرج الجاهلية الأولى" وأمر الاجتناب من تلك التصرفات. ونزل أيةً وضّح فيها أمرين: الأصل فيهنّ الوقار في البيت، ثم يخرجن بدون التبرج عند الضرورة .

قال الله تعالى في المرحلة الأولى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، لأن البيت أصل ومقرّ في حياتهنّ [37]. أما الحكمة فيها أن ينصرفن إلى رعاية شئون بيوتهن، وتوفير وسائل الحياة المنزلية التي هي من خصائصهن، ولا يحسنها الرجال، وإلى تربية الأولاد في عهد الطفولة وهي من شأنهن. وقد جرت السنة الإلهية بأن أمر الزوجين قسمة بينهما، فللرجال أعمال من خصائصهم لا يحسنها النساء، وللنساء أعمال من خصائصهن لا يحسنها الرجال، فإذا تعدى أحد الفريقين عمله، اختل النظام في البيت والمعيشة[38].

ثم جاء في المرحلة الثانية: ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾، الله سبحانه وتعالى احترم حوائجهنّ فأباح لهنّ الخروج مع التزام الشروط والضوابط. إذا كان الخروج مشروعة لقضاء مصالحهن فحاجتهن إلى المساجد أولى لأداء الصلوات المكتوبات، كما قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: "الْزَمْنَ بيوتكن؛ فلا تخرُجْن لغير حاجة؛ ومن الحوائج الشرعية: الصلاةُ في المسجد بشرطه؛ كما قال رسول الله« :لا تمنَعُوا إِماءَ اللهِ مساجدَ الله، وليخرُجْن وهُنَّ تَفِلاتٌ«[39] ، وفي رواية: »وبيوتُهُن خيرٌ لهن« . لأن مسؤولية إقامة الصلاة مكتوب أيضاً على أعناقهنّ حيث ذكر الله تعالى عن إقامة الصلاة بعد أن يسمح لهنّ الخروج: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ﴾.

---

[33] الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج14، ص178.

[34] التفسير الوسيط، المصدر السابق، ج1، ص3418.

[35] الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج14، ص178_179.

[36] التفسير الوسيط، المصدر السابق، ج1، ص3419.

[37] سيد قطب، في ظلال القرآن، (القاهرة: دار الشروق، ط32، 1423هـ_2003م)، ج22، ص2858_2860.

[38] التفسير الوسيط، المصدر السابق، ج1، ص3418.

[39] الجامع الصحيح المختصر، المصدر السابق، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم، رقم الحديث: 849، ج2، ص6.

دور أم اسماعيل في تعمير الكعبة

قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يشْكُرُونَ﴾[إبراهيم:37[

إن ابراهيم عليه السلام أسكن زوجته "هاجر" وابنه "إسماعيل" وهو في الرضاع بجوار مكة، وكانت المكة في تلك الوقت بدون سكن ولا داع ولا مجيب، وكذلك لا تصلح للزراعة. فرفع ابراهيم يداه متضرعا متوكلا على ربه: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي..... ﴾. ثم التاريخ يشيرنا عن محاولة أم اسماعيل في تروية أولاده وعمارة بيت الله الحرام حتى يجعلها ذكرى للعالمين. وأحسن الإمام الطنطاوي في بيان تلك القصة بأسلوب مختصر: "ثم إنها جعلت ترضع ابنها وتشرب مما في السقاء حتى إذا نفد ما في السقاء، عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلبط- أى يتلوى ويتمرغ- من شدة العطش، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا. فلم تر أحدا، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي، رفعت طرف درعها، ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا، فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرات، ولذلك سعى الناس بينهما سبعا. فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت: صه! تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا صوتا فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتغرف منه في سقائها وهو يفور، فشربت وأرضعت ولدها، وقال لها الملك: لا تخافي الضيعة، فإن هاهنا بيت الله تعالى يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله تعالى لن يضيع أهله"[40] . هكذا حفظ الله سبحانه وتعالى سعيها وحركاتها إلى يوم القيامة حيث جعل خطوتها عبادةً مُتّبعة لكل من يريد زيارة بيت الله الشريف لأداء مناسكهم. وأكرم الله سبحانه وتعالى جميع النساء بمكانة امرأة واحدة، فقال رسول الله« :رَحِمَ اللهُ

[40] التفسير الوسيط، المصدر السابق، ج1، ص2439.

أُمَّ إِسْماعيلَ لَوْلا أَنَّها عَجِلَتْ لَكانَتْ زَمْزَمُ عَيْنا مَعِينا« [41]. وفي رواية عن ابن عباس قال: "إنّ أوّل من سَعى بين الصَّفا والمروة لأمُّ إسماعيل. [42]"

ومن العجائب المعاصرة أن يُبتعد النساء من العبادات في المساجد، أما التاريخ تحدثنا عن مساهمات معشر النساء في تعمير المساجد في كل زمان. كان مقصود إبراهيم عليه السلام في إسكنهما هو عمارة المسجد أي إقامة الصلاة فيه. ذكر الإمام ابن عاشور: "وعلق "ليقيموا" بـ"أسكنت" أي علة الإسكان بذلك الوادي عند ذلك البيت أن لا يشغلهم عن إقامة الصلاة في ذلك البيت شاغل فيكون البيت معموراً أبداً.[43] "

مريم عليها السلام وبيت المقدس

وفي القرآن آيات يخصّ فيها النساء في تعمير المساجد، وعلى رأسها مريم عليها السلام. قال الله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[44][آل عمران:35]. امرأة عمران هي حنّة بنت فاقوذا وأم مريم عليها السلام. قال محمد بن إسحاق: "وكانت امرأة لا تحمل، فرأت يوما طائرا يزق فرخه، فاشتهت الولد، فدعت الله عز وجل أن يهبها ولدا، فاستجاب الله دعاءها، فواقعها زوجها، فحملت منه، فلما تحققت الحمل نذرته أن يكون "محررا" أي خالصا مفرغا للعبادة، ولخدمة بيت المقدس، فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾" . إن أم مريم طلبت عن ولدٍ أصلاً، ويثبت هذا مقصودها من ولد كأنه يكون مُحَرَّراً أى عتيقًا مخلصًا للعبادة متفرغًا من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس [45]، ودور الذكر أولى في إنجازها من أنثى. وكذلك هي وصفت الذكورة باللفظ "محررا" يفيد أن يكون المولود ذكراً. الأهم في الآية أنها نوت الذكر لخدمة المسجد المقدس والله سبحانه وتعالى اختار الأنثى لأداء تلك العمل المبارك. كأنه يقصد أن يقوي العلاقة ما بين المرأة والمسجد بها. فالأفكار الموجودة في بعض المجتمع بأن يمنع النساء من صلاة في داخل المساجد أفكار لا أصل لها .

---

[41] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ_2001م)، باب بداية مسند عبد الله بن العباس، رقم الحديث: 3080، ج7، ص113. أنظر: د. عبد الملك بن بكر عبد الله قاضي، ديوان السنن والأثار، (د.ن.، د.ت.، 1424ه) ص689

[42] الدكتور محمد الشريف الرحموني، مناسك الحج والعمرة من القرآن والسنة دراسة تطبيقياً، (مصر: الدار العربية للكتاب، د.ط.، د.ت.)، ص89.

[43] ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج1، ص2284.

[44] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (رياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999 م)، ج2، ص33.

[45] التفسير الوسيط، المصدر السابق، ج1، ص594.

وقال أيضا: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:37]. كان العرف في عهد زكريا عليه السلام بأن المرأة لا تستحق لخدمة المسجد لسبب أن تكون امرأة. وهذا إما من تأثير تقاليدهم وإما من إرشادات أديانهم. فالله سبحانه وتعالى أراد أن يغير هذه التقاليد بإقامة مريم في المسجد المقدّس لم تكن مشروعة قبلها. بل هدف أن يعلمهم بأنه سيكون منها رسول ناسخ لأحكام كثيرة من التوراة[46] . قال الإمام الطنطاوي في شرح الآية: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ "بأن الله تعال تقبل مريم قبولا مباركا وخرق بها عادة قومها، فرضي أن تكون محررة للعبادة وخدمة بيته كالذكور، مع كونها أنثى وفاء بنذر الأم التقية التي قالت رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي مُحَرَّراً"[47] . بعد أن تكفّلها زكريا بنى لها مكانًا خاصًا في داخل المسجد الذي قد سمّاها القرأن "المحراب". وهو الموضع العالي الشريف الذي تتخذه مريم مكانا لعبادتها في المسجد[48] . و ورد في القرآن القصّة عن قيام مريم عليها السلام في المسجد الأقصى ورعاية زكريا عنها رعاية حسنة. ففي التاريخ الإسلامي يُوجد تعبّد النساء في داخل المساجد حتى باتت ولهنّ مكان خاصّ. ولكن هنّ يحتجن الرعاية الصحيحة من إدارة المساجد كما راعى زكريا مريم عليهما السلام في المسجد الأقصى .

وذكر في الأية بعده ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ. يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[آل عمران:42-43]. إن الله سبحانه وتعالى اختار مريم عليها السلام لشرف عظيم. في مقابلة هذا، أمرها الله تعالى القنوت والسجود والركوع لله رب العالمين. التنبيه في هذه الآية أنّ الله تعالى ما قال "واركعي بالانفراد"، بل قال "واركعي مع الراكعين". هذه دعوة قوية من الله تعالى لمريم ولعباده جميعا بالمحافظة على العبادات ولا سيما الصلاة في جماعة . قال الإمام البغوي رحمه الله: "ولم يقل مع الراكعات ليكون أعم وأشمل، تشير إلي الأمر في مشاركة الجماعة فيها الرجال والنساء"[49] . هذه الآية فيه أوامر لمعشر نساء المسلمين لكي تقوي أحوالهنّ الروحية والتعبّدية والاجتماعة. إن الإسلام يفضّل للنساء الواجبات في داخل منازلهنّ. فصلاتهنّ في بيوتهنّ صارت أفضل لهنّ لكي يبتعدن عن اختلاط

[46] التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج3، ص84

[47] التفسير الوسيط، المصدر السابق، ج1، ص594.

[48] المصدر نفسه، ج1، ص596-597.

[49] البغوي، معالم التنزيل، المصدر السابق، ج2، ص36.

الرجال والفتنة. أما روح العبادة هو في الجماعة والمشاركة، يتعلّم بعضهم من بعض كما يُصلح بعضهم بعضاً. فالمرأة في مجتمع تخرج من بيوتهنّ وتعمل لا بدّ من مشاركة الصلوات في جماعة وتساهم في بناء المجتمع.

من أقصى الظلم أن يُمنع من المساجد

أنّ الله سبحانه وتعالى نهى عن منع الناس من المساجد، وجعلها في أعلى مراتب الظلم، وعمّم فيها الذكر التي تشمل الرجال والنساء. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[البقرة:114]. الذين يمنعون من مساجد الله أي من إقامة الصلاة فيها ومن التلاوة والأذكار وغيرها من الطاعات هم أشد ظلماً وجرماً عند الله سبحانه وتعالى. لأن المساجد لله وحده فيستحق أن يدخل فيها كل من يريد أن يذكر اسمه .

كثرت آراء العلماء في بيان سبب نزول هذه الآية، أكثر ما ذكر المفسرون أنها نزلت في بخت نصر، لأنه أخرب بيت المقدس. وقال ابن عباس: هي نزلت في النصارى، هم أيضاً خربوا بيت المقدس عداوةً لليهود فقط. وقيل: نزلت في المشركين إذ منعوا المصلين والنبي ، وصدوهم عن المسجد الحرام عام الحديبية[50] . وإن كان السبب خاصاً فيكون الحكم عاماً تشمل جميع الأنواع والأشكال في المنع من مساجد الله. لأن الله سبحانه وتعالى ذكر "مساجد الله" بالجمع ولو وقع المنع والتخريب على مسجد واحد هو المسجد الحرام أو المسجد الأقصى. فأحسن ما ذكر الأمام الطنطاوي في هذه: "وكيفما كان سبب النزول، فالآية تشمل بذمها ووعيدها، كل من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها.[51] "

فهذه الآية زجر كبير من الله تعالى لمن يمنع نساء المؤمنين من آداء صلاتهنّ المكتوبات في مساجد الله . لأن الله تعالى أعلم بما في ذهابهنّ إلى المساجد من صلاحهنّ لتربية الأولاد المجتمع. فأعاده النبي الكريم لإهتمامها وهو يقول: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله .[52]"

نقد لبعض العلماء الذين يميلون إلى السنة أولاً في إصدار الحكم

في مسئلة حضور النساء في المساجد، ذهب بعض العلماء من القارّة الهندية إلى أن الأصل فيها التحريم، بناءً ما يجدون من الأحاديث تتكلّم عن منع النساء لأجل الانحرافات المؤقّتة في تلك الزمان. أنهم

[50] تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، ج1، ص387.

[51] التفسير الوسيط، المصدر السابق، ج1، ص190.

[52] الجامع الصحيح المختصر، المصدر السابق، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم، رقم الحديث:849، ج3، ص420. والمسند الصحيح المختصر، المصدر السابق، كتاب الصلاة، باب خروج

يخصّصون قضية ذهاب النساء إلى المساجد بعهد النبوّة فقط لأجل الضرورة فيه[53] . ثم يبيّن الضرورة بأن المسلمين كانوا قليلون العدد في بداية الإسلام، يجتاجون إلى معاشر النساء في مشركتهنّ الجماعة والجمعة، وفي نشاطاتهنّ الاجتماعية والخيرية، وفي مساعدتهنّ الجهاد والمجاهدين. لكي يخافون العدوّ من عدد جيش الإسلام ومن قوّتهم. وبعد الفتوحات الإسلامية لا يحتاج الإسلام والمسلمين إلى مشاركهنّ في جميع المجالات حتى في جماعة المسجد . والضرورة الثانية هي أن النبي لما انتهى من صلاته المكتوبة توجّه إلى الأصحاب غالباً ثم وعظ ونصح وأخبر كلما نزل شيئاً من التنزيل، والصحابة يحفظ من كلامه ويستفيد لما فيه صلاح الأمة إلى يوم القيامة. وفي هذه الميدان للتلقّي والتّحفّظ سمح النبي r نساء المؤمنين حضور المساجد واستماع التنزيل والاستفادة من إرشاداتها. أما بعد وفاته مع انقطاع الوحي قد ألغي حوائجهنّ إلى المساجد لعدم التنزيل الجديد فيها[54] . فالنساء ذهبن إلى الجماعة حقاً في عهد النبي ولكن الأمر لا بدّ من التركيز إليه هل كان النبي r سمحهنّ حضور الجماعة من باب التشجيع أم هو حاول أن يمنعهنّ على سبيل التدرّج؟ أنهم يرون أن النبي r ولو سمحهنّ للضرورة اشترط لهنّ الاستئذان من الزوج والحجاب المستور والذهاب بالليل وغيرها من الشرائط التي تثبت أنه عليه السلام أراد أن يحبسهنّ من الذهاب إلى المساجد [55] .

في تحليل هذه المسئلة، أنهم يرجعون إلى الأحاديث مباشرةً بإهمالِ النصوص القرآنية. كما يتكلم الحديث عن تحبيسهنّ من المساجد وقت وقوع الفتنة، يتحدث أيضاً عن ذهابهنّ مع بيان الضوابط والكيفية فيها في حالةٍ عاديةٍ. واختلاف الروايات في السنة لسبب اختلاف الأحوال والظروف في ظهور المسئلة. والأصل في السنة أن يبيّن ويوضّح ما ذُكر أصالةً في القرآن الكيم. فالمنهج الصحيح في حلّ المسئلة هو الرجوع إلى الوحي المتلوّ من باب الأولى لما فيه الأصالة والأساس لجميع المسائل الجديدة. ثم الاستنباط من الأحاديث النّبوية عن بيان تلك الأساس وعن الضوابط والموانع فيه. فالأصل في حضور النساء في المساجد هو الإباحةُ الذي يثبت من الآيات المذكروة سابقاً. وتطبيقهنّ تختلف باختلاف الظروف في مجتمع من مجتمع، في بلدٍ من بلد، إعتماداً على استنباط روايات الأحاديث المرونة .

---

[53] مفتي محمد بختيار الدين، مفسر في جامعة أحمدية سنية عالية، شيتاغونغ، بنغلاديش. الفيديو: https://www.youtube.com/watch?v=lQlONKf1rs0، تاريخ المشاهدة: 28-6-2018.

[54] الفيديو: https://www.youtube.com/watch?v=lNGRlkUMAE0، تاريخ المشاهدة: 26-6-2018.

[55] نور الإسلام أوليبوري، تكلم في حلقة تدريبية حول الحديث والنحو الصرف، تقع في نيلكهيت داكا، الفيديو: https://www.youtube.com/watch?v=rBVAwsFZVLg&t=910s، تاريخ المشاهدة: 25-6-2018.

خاتمة البحث

جميع النصوص ما ذُكر سابقاً يُثبت علاقة النساء مع المساجد وهي علاقة متينة قوية، بأنهنّ يشهدن في صلاة الجماعة والجُمعة، ويساهمن في إقامة الخير والصلاح في المجتمع، وذلك كلّها بالمشاركة مع الرجال. وفي استشهاد الأمر لمشاركة النساء قام الباحث ببحثٍ عن عشر آيات تقريباً التي تؤدي الأمر إلى مسئلة ثابتٌ قوي. فالأصل فيه إباحة حضور النساء في المساجد وإجراء النشاطات حوله. وفي ظهور المسئلة، أمر الإسلام للرجوع إلى القرآن الكريم على مصدر أساسي، كما جاء في التنزيل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ [سورة النساء: 59]. لأن البيان في القرآن أساس وجوهر لكلّ مسئلة تُظهر على مدار الزمان، أما الأحاديث تبيّن تلك الأساس بطريقة واضحة فعّالة على حسب الظروف. فقضية حضور النساء في المساجد أساسها ثابت في القرآن وبيان عن كيفيتها والضوابط فيها مفصّلة في الأحاديث النبوية. ومجموعة من العلماء في القارّة الهندية لا يبالون الأساس والبيان في القرآن عن هذه المسئلة، بل يفرّقون شملهم ويعاتبون بعضهم بعضاً في بيان مسئلة صلاة النساء في المساجد استدلالاً من الأحاديث التي وردت فيها اتجاهات مختلفة على مقتضى الحال. أما المطلوب منهم أن يرجع إلى الأساس في بداية الأمر، ثم الاستشهاد بالسنة في تطبيق الأساس على عرف المجتمع.

المصادروالمراجع

الخالد، الدكتور صلاح عبد الفتّاح (1433هـ_2012م). تعريف الدّارسين بمناهج المفسّرين (ط5). دمشق: دارالقلم.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (1417 هـ - 1997 م). معالم التنزيل (ط4). تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش. رياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

طنطاوي، محمد سيد. التفسير الوسيط للقرآن الكريم (ط1). القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (1420هـ -2000 م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. بيروت: مؤسسة الرسالة.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (1423هـ_2003م). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: هشام سمير البخاري. المملكة العربية السعودية، الرياض: دار عالم الكتب.

الخضيري، د. إبراهيم بن صالح (1421هـ_2001م). أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية (ط2). الرياض: دار الفضيلة للنشر.

الجليند، د. محمد السيد. الدور السياسي والاجتماعي للمرأة: رؤية إسلامية.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (1420هـ_2000م). التحرير والتنوير (ط1). بيروت – لبنان: مؤسسة التاريخ العربي.

الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. القاهرة: دار أخبار اليوم.

الندوي، أبو الحسن (1487هـ_1967م). ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ط7). بيروت: دار الكتاب العربي.

محمد، صلاح عبد الغني (1418هـ_1998م). موسوعة المرأة المسلمة (ط1). القاهرة: مكتبة دار العربية للكتاب.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي (1407هـ–1987م). الجامع الصحيح المختصر (ط3). تحقيق : د. مصطفى ديب البغا. بيروت: دار ابن كثير.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسين القشيري. المسند الصحيح، بيروت: دار الأفاق الجديدة.

سيد قطب (1423هـ_2003م). في ظلال القرآن (ط32). القاهرة: دار الشروق.

الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (1421هـ_2001م). مسند الإمام أحمد بن حنبل (ط1). تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة.

د. عبد الملك بن بكر عبد الله قاضي (1424هـ). ديوان السنن والأثار.

الرحموني، الدكتور محمد الشريف. مناسك الحج والعمرة من القرآن والسنة دراسة تطبيقياً. مصر: الدار العربية للكتاب.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (1420هـ - 1999 م). تفسير القرآن العظيم (ط2). تحقيق: سامي بن محمد سلامة. رياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

Nevin Reda. *Women in the Mosque: Historical Perspective on Segregation.* The American Journal of Islamic Social Sciences 21:2.

Jasser Auda, *Reclaiming The Mosque*, (London: Claritas Books, June 2017)